

**دور الفلسفة عبر عصورها المختلفة في إرساء مبادئ الأمن  
الفكري والسلام المجتمعي**

**أ.د. محمد علي الجندي**

أستاذ الفلسفة الإسلامية

ووكيل كلية دار العلوم الأسبق للدراسات العليا والبحوث



## توطئة:

إن الدارس للفلسفة والمتتبع لتاريخها الطويل سيجد أن الفلسفة كانت على الدوام تؤدي وظيفة ما في حياة الإنسان، وإن اختلفت من عصر إلى عصر آخر، ومن مذهب فلسفي إلى آخر، بل إنها في أحيان كثيرة كانت تختلف من فيلسوف إلى آخر في العصر الواحد والمجتمع الواحد أحياناً غير قليلة.<sup>(١)</sup>

إن التفلسف عمل جاد شاق؛ إذ هو بحث يتصف بالتعمق في البحث عن الحقيقة في الموضوعات التي يتعرض لها، ومثل هذا العمل الجاد لا يجوز أن يظن أنه بلا وظيفة يؤديها في حياة الإنسان، بل إننا نقول: إن أحد معايير تقويم الفلسفات هو النظر فيما قدمته للإنسانية جمعاء.

وما يعيننا في هذه الورقة هو النظر فيما قدمته الفلسفة لدعم الأمن الفكري والسلم المجتمعي في العالم بعامته، وفي العالم الإسلامي المعاصر بصفة خاصة كوظيفة أساسية من وظائفها، ولتوضيح هذا الأمر سنستعين بالفلسفة وتاريخها، ذلك أن تاريخ الفلسفة- الذي هو في الوقت نفسه فلسفة- قد انطوى على إجابات متعددة تكاد تستوعب كل الأجوبة المحتملة عن وظيفة الفلسفة، وسيكون مرشدنا في هذه الاستعانة قول رسولنا محمد (صلى الله عليه وسلم) "الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى الناس".

وننطلق من فكرة نعتقدها، وهي أنه على المشتغلين بالفلسفة في كل عصر أن يعيدوا النظر في وظيفة الفلسفة في مختلف جوانبها من أجل الوصول إلى وعي أفضل بوظيفة الفلسفة، وما يمكن أن تسهم به للمجتمع الذي تظهر فيه، وللإنسانية بأسرها، وهو نظر تفرضه مشكلات كل مجتمع وحاجاته المتغيرة من جهة، ومشكلات الإنسانية وحاجاتها من جهة أخرى.

والفلسفة هي الحكمة، وإن الفلاسفة هم الحكماء، وقد امتدح القرآن الكريم الحكمة وذلك في قوله تعالى: "ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب"<sup>(٢)</sup>.

وقد أتى الله الأنبياء الحكمة، فكانوا يرشدون الناس إلى أصوب الطرق في التعامل مع هذه الحياة مع أنفسهم ومع الآخرين ومع الأشياء من حولهم، وإلى أصوب الحلول لما

(١) للمزيد: راجع مقالة الدكتور طه عزمي السيد، عن وظيفة الفلسفة في العالم العربي الإسلامي المعاصر، أيضاً كتاب الفلسفة في الفكر الإسلامي، نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي بتحرير رائد عكاشة، محمد الجندي، مروة محمود، عمان، الأردن، ٢٠١٢/١٣م، ص ١٨٥ وما بعدها، أيضاً عبد الرحمن طه، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ٦٦ وما بعدها.  
(٢) سورة البقرة آية ٢٦٩.

يواجهونه من مشكلات، وُجد أناس في كل المجتمعات وُصفوا بأنهم حكماء كان الناس يرجعون إليهم فيما يحتاجون إليه من نصح وإرشاد لمواجهة مشكلات الحياة، والتعرف على أصوب الطرق في التعامل مع أنفسهم ومع غيرهم، ومع الأشياء المحيطة بهم، وكذلك مع الخالق سبحانه وتعالى، وقد ذكر القرآن الكريم أحد الحكماء البارزين في التاريخ وهو لقمان الحكيم، وعرض القرآن نماذج من حكمه، وهي المواعظ التي قدمها لابنه ليكون تعامله في الحياة مع الله ومع الآخرين ومع الأرض التي يمشي عليها سلوكًا سليمًا صائبًا.

وعلى ذلك فخلاصة ما يُفهم من استخدامات القرآن الكريم للفظ الحكمة، ومن جملة الاستخدامات اللغوية لها، ومن بعض الاستخدامات في مجال البحث الفلسفي أن الحكمة هي المعرفة العملية التي تتعلق بممارسة الحياة ومواجهة مشكلاتها، وتتسم بالصواب والتوفيق والسداد ووضوح الرؤية في كل ذلك، وتكون هذه المعرفة مبنية ومؤسسة على معرفة نظرية بحقيقة الإنسان والحياة الإنسانية، والوجود المحيط بالإنسان، والله خالق الإنسان.

ونجد الأمر نفسه عند الفلاسفة على مر العصور، حيث كانوا يؤكدون أيضًا على بناء المعرفة العملية على المعرفة النظرية حتى يستعين بها الإنسان على توجيه حياته الوجهة الأصوب، "لأن ذوي الحكمة إذا أرادوا أن يفعلوا شيئاً قدموا قبله النظر والبحث عن علم ما الذي ينبغي أن يفعل" (١)، كما يذهب الكندي، أيضًا إلى أن الكمال الإنساني "إنما هو باقتناء جزئي الحكمة: النظر (أي المعرفة النظرية)، والفعال (أي المعرفة العملية)، إذ بهما الكمال الإنساني" (٢).

وعلى ذلك فإن الفلسفة لم تكن ترفًا فكريًا، وإنما كانت عملاً عقليًا جادًا له وظيفته الاجتماعية الكبرى التي تمس كل جوانب حياة الإنسان من أجل تحقيق ما أسماه الكندي (الكمال الإنساني) الممكن، فالفلسفة التي هي الحكمة كانت وظيفتها وغايتها عند الشعوب إرشاد الإنسان، وهدايته إلى أصوب الطرق في كل تعاملاته في هذه الحياة مع نفسه ومع الآخرين ليتحقق السلام والعدل بين أفراد المجتمع.

ووظيفة الفلسفة هذه تتفق مع وظيفة الدين التي هي الهداية، فالفلسفة بهذه الوظيفة مارست عبر التاريخ دور المنافس القوي للدين كونها تربط هذه الوظيفة العملية؛ أي الهداية والإرشاد وبجانبها النظري الذي هو بحث عن الحقيقة، فكان لسان حال الفلسفة أنها تقدم هداية للإنسان مبنية على الحقيقة التي وصلت إليها في بحثها النظري عن الحقيقة، بينما تقدم الدين هداية وإرشاد عمليًا دون بيان للأساس النظري الذي قام عليه وانطلق منه.

(١) الكندي، أبو يعقوب: في الصناعة العظمى، دار الشباب، قبرص، ١٩٨٧م، ص ١٢٢، أيضًا كتاب الفلسفة في الفكر الإسلامي، مصدر سابق، ص ١٩١.  
(٢) المصدر السابق: الصفحة نفسها.

## وظيفة الفلسفة عبر عصورها المختلفة في تأصيل قيم الأمن الفكري والسلم المجتمعي:

### أولاً: اليونان:

تجلت في الجانب المهم بالبحث في الإنسان والحقيقة الفردية، وذلك على يد جماعة السفسطائيين، وكان ذلك، في جانب كبير منه، انعكاساً لتبدل الأوضاع السياسية في بلاد اليونان وما سادته من فوضى معرفية وفكرية تصدرها هؤلاء السفسطائيون حيث زيفوا الحقائق، وأعطوا للقيم الثابتة تخريجات منحرفة تتفق مع أهوائهم ومصالحهم الشخصية، فصار الإنسان مقياس الأشياء جميعاً عند (براتوغراس ت ٤٢٠ ق.م) وأصبحت القيم نسبية إلى حد الفوضى، ومرد ذلك هو احتراف السفسطائيين للجدل والخطابة حتى جعلوا من الفلسفة نوعاً من التلاعب اللفظي الذي يعين صاحبه على تأييد القول الواحد ونقضه على السواء، فشاع القول بالنسبية، وفقد الكثيرون إيمانهم بالحقائق المطلقة، وأصبح هدف الفلسفة هو الجدل لمجرد الجدل لا لطلب الحق أو إصابة اليقين<sup>(١)</sup>، فاختلطت معاني القيم الأساسية في حياة الإنسان كالعدل والفضيلة وغيرها، وأصبح يموج في بعضه البعض، فغابت القيم وشاعت الفوضى الأخلاقية، مما كان له أكبر الأثر في السلم الاجتماعي في المجتمع الأثيني في هذا الوقت، ثم ظهر سقراط فأحدث ثورة كبرى في نطاق الفلسفة، إذ وجه الدراسات الفلسفية وجهة جديدة حين تصدى لهؤلاء السفسطائيين مفنداً آراءهم وأقوالهم المغلوطة، ومؤكداً على المعاني الحقيقية للقيم الإنسانية حماية لأفراد المجتمع، وخاصة الشباب من الانجراف وراء حملات التشكيك والتضليل التي يتبعها السفسطائيون، ويسعون بكل ما يملكون من قوة لنشرها والحث على الاقتناع بها، فاستطاع سقراط بذلك أن يخلص المجتمع الأثيني من نوازع الانحراف الفكري الذي انعكس بلا شك على مقدرات السلم الاجتماعي في المجتمع الأثيني.

وجاء أفلاطون فسار على نهج أستاذه سقراط، وجعل من معرفة الذات أهم نقطة في كل بحث فلسفي، ثم جعل من جمهوريته التي أنشأها سمة أي مجتمع ينشد السلام والأمن الاجتماعي من خلال التمسك بالمثل الذي هو أصل كل موجود محسوس، فهو مثال تجتمع فيه كل صفات الكمال في المعرفة.<sup>(٢)</sup>

أما أرسطو فقد تنبه لأغاليط وتمويهات السفسطائيين التي أضاعت معاني الألفاظ وشوهت المعرفة، فانبرى في منطق الصوري لعلاج هذه الظاهرة المنحرفة بتخصيص جزء

(١) إبراهيم زكريا: مشكلة الفلسفة، مكتبة مصر، د.ت، ص ٣٠ وما بعدها.

(٢) املرجع السابق: ص ٤٤.

كامل يتناول الحديث عن الماهية، وعن الحدود المنطقية الصحيحة التي تحدد معاني الأشياء بصورة صحيحة تعطي للمعرفة مشروعيتها وقيمتها في المجتمع الإنساني، ثم صاغ البراهين والأقيسة التي تضبط عمل العقل البشري في الاستدلال على الحقائق.

### ثانيًا: المسلمون:

إذا انتقلنا إلى النظر في وظيفة الفلسفة الإسلامية في التصدي للانحراف الفكري واستتباب السلم الاجتماعي، فنجد أول ما يقابلنا هو الكندي فيلسوف العرب المتوفى سنة ٢١٨ هـ، الذي يرى أن الفلسفة هي التشبه بأفعال الله تعالى بقدر طاقة الإنسان، ويشرح الكندي ذلك فيقول: "إن الله تعالى هو مصدر الفضائل ومنبع الكمال، والفيلسوف هو ذلك الشخص الذي يجعل تلك الفضائل والكمالات الإلهية بمثابة مثل عليا يبذل أقصى الجهد في محاولة التشبه بها والاقتراب منها، ويؤدي به هذا التشبه لأن يكون كامل الفضيلة"<sup>(١)</sup>.

أي أن الفلسفة تعمل على تنمية وتثبيت الفضائل الخلقية في الإنسان، وطريق الفضيلة هو طريق السعادة لأفراد المجتمع.

كذلك يهتم الكندي بإبراز مسألة أنه لا تناقض بين الفلسفة والدين، وحاول ما وسعه الجهد التوفيق بين الفلسفة والدين، حيث كان أول من بذل من الفلاسفة الإسلاميين جهدًا كبيرًا في هذه المسألة، واحتذى حذوه من جاء بعده من فلاسفة الإسلام.

فالفلسفة عند الكندي هي علم الأشياء بحقائقها ويدخل في هذا العلم كما يقول الكندي "علم الربوبية، وعلم الوجدانية، وعلم الفضيلة، وجملة كل علم نافع والسبيل إليه والبعد عن كل ضار والاحتباس منه"<sup>(٢)</sup>.

هذه الأمور من أهم ما جاءت الرسل والأنبياء لإظهاره والدعوة إليه، لأنهم إنما جاءوا بالدعوة إلى العقائد الصحيحة التي تتعلق بوجود الله تعالى ووجدانيته وكماله، والدعوة إلى الفضائل الأخلاقية الرفيعة التي هي أساس التعامل بين البشر، فإذا كانت الفلسفة الحقة تدعو لهذه الأمور أيضًا، فلا مجال - إذن - للقول بوجود التعارض بين الفلسفة والدين الذي هو في أساسه دعوة إلى الحق والمساواة بين الخلق.

ولم يكن الكندي هو الفيلسوف الإسلامي الوحيد الذي ذهب هذا المذهب، بل إننا نجد أن الذين جاءوا بعده من الفلاسفة الإسلاميين كالفارابي، وابن سينا، وابن رشد قد فعلوا مثله، وقالوا بمثل قوله.<sup>(٣)</sup>

(١) الكندي: في الصناعة العظمى، مصدر سابق، ص ١٢٦.

(٢) المصدر السابق: الصفحة نفسها.

(٣) محمد عبد الله الشرقاوي: في الفلسفة العامة دراسة ونقد، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م، ص ٢٤، وأيضًا عبد الحميد مذكور.

فقد بذل الفارابي جهداً دقيقاً ومتعمقاً في بحث هذه المسألة، وخلاصة رأيه أن الفلسفة والدين تتفقان في الغاية القصوى، وهي تحقيق السلام والسعادة القصوى للإنسان وللمجتمع البشري في الدنيا والآخرة.<sup>(١)</sup>

فكل ما تعطيه الفلسفة من هذه الموضوعات المشتركة معقولاً أو متصوراً، فإن الملة تعطيه متخيلاً، وكل ما تبرهنه الفلسفة يُقنع، فأسلوب الفلسفة الدليل العقلي البرهاني، وأسلوب الدين ضرب الأمثلة ليحصل الإقناع.<sup>(٢)</sup>

ولذلك فإن الفارابي يرى أن توحيد آراء أهل المدينة الفاضلة لا يتم بالفلسفة وحدها على مكانتها وأهميتها، وإنما باعتناقهم ديناً فاضلاً، تجتمع به آراؤهم، واعتقاداتهم، وأفعالهم، وتأنف به أقسامهم، وتنظم به حياتهم في مجتمعاتهم ليتحقق بهم السعادة.<sup>(٣)</sup>

وممن عالج قضية التوفيق بين الفلسفة والدين من الفلاسفة المسلمين في المغرب العربي هو ابن رشد (ت ٩٩٥ هـ)، فقد كان صاحب رأي مشهور وهو أن الفلسفة صاحبة الشريعة وأختها الرضيعة، وهما المصطحبتان بالطبع والمتحابتان بالجواهر والغريزة، ذلك أن الفلسفة نظر في الموجودات للتعرف على حقائقها واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع<sup>(٤)</sup>.

وعليه فإنه إذا كانت الشريعة حقاً داعية إلى النظر المؤدي إلى الحق، فإننا معشر المسلمين نعم على القطع أنه لا يؤدي النظر البرهاني لمخالفة ما ورد به الشرع، فإن الحق لا يضاد الحق، بل يوافقه ويشهد له.<sup>(٥)</sup>

هنا إشارة واضحة إلى أمرين: الأول إن وظيفة الفلسفة هي البحث عن حقائق الموجودات، والعبور من ذلك إلى دلالتها على الصانع الذي هو الله سبحانه وتعالى، والثاني إن الحقيقة في الدين وفي الفلسفة واحدة، بمعنى أنه لا تعارض بينهما.<sup>(٦)</sup>

أما بخصوص قضية التأويل، وهي من القضايا المهمة أيضاً التي تبناها ابن رشد ودافع عنها، ووضع لها ضوابطها وشروطها في المتأول وفيما يؤول، فنراه في بادئ الأمر يعارض التأويل المطلق عند الفرق الإسلامية، ثم نراه بعد ذلك يصرح بالتأويل بعد وضع

(١) الفارابي: تحصيل السعادة، حققه وقدم له وعلق عليه جعفر آل ياسين، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨١م، ص ٩٠.

(٢) السابق: الصفحة نفسها، أيضاً طه عزمي: الدين والأيدولوجيا في مشروع الفارابي السياسي، دار المسار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م، ص ١٧، ٢١.

(٣) طه عزمي: الدين والأيدولوجيا، ص ٩٤.

(٤) ابن رشد: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، مركز دراسات الوحدة، بيروت، ١٩٩٧م، ص ٨٧.

(٥) المصدر السابق: ص ٩٦.

(٦) طه عزمي: وظيفة الفلسفة، مرجع سابق، ص ٢٠٢.

شروط ضابطة له، كان من أهمها أنه قصر التأويل على أهل البرهان، من العلماء (الفلاسفة)، وكذلك ألا يخل بعادة لسان العرب.<sup>(١)</sup>

وقد قسم ابن رشد الناس إلى أصناف ثلاثة:<sup>(٢)</sup>

١- صنف ليس هو من أهل التأويل أصلاً، وأولئك هم الخطابيون، أي الذين لا يصلح لهم سوى البراهين الخطابية، وهي المأخوذة من مقدمات مقبولة أو من مقدمات مظنونة والمقبولة هي المأخوذة من أفاضل العلماء والمشهورين. والمظنونة هي التي يغلب على الظن رجحانها مع تجويز نقيضها.

٢- أما الصنف الثاني: فهم أهل التأويل الجدلي، وهؤلاء هم الجدليون، ويقصد بهم المتكلمين، وهؤلاء يأخذون حججهم من المسلمات والمشهورات.

٣- أهل اليقين: وأولئك هم البرهانيون أي (الفلاسفة) وهم أعلى الناس من حيث القدرة على الفهم .

إذن طبقات الناس من حيث القدرة على الفهم: عامة، متكلمون، فلاسفة.

وناهيك عما سببته مسألة التأويل من خلل عقدي، واضطراب في المجتمع كاد يهدد السلم الاجتماعي لاختلاف القائلين بالتأويل التفسير لقضايا الأحكام والمعاملات والعبادات، فعمت فوضى التأويل المجتمع الإسلامي، وما زالنا حتى عصرنا هذا نعاني من أولئك تصدوا للفنوى والتأويل بما لا يتفق مع صحيح المنقول من الكتاب والسنة، وإعمال العقل في نصوص قطعية الثبوت قطعية الدلالة، مما نشر التنافر بين أفراد الأمة وظهرت دعوات مضللة صادرة عن هذا التأويل الخاطيء، استخدم فيها الجدل الفكري العقيم، حتى وصل الأمر إلى ظهور جماعات تدّعي أنها هي الجماعات الوحيدة القادرة على فهم الدين، وأن ما عداهم مصابون بقصر النظر وعدم الفهم الذي يصل إلى حد الجهل، فكفروا بالمجتمعات، ودعوا إلى الجهاد ضد المجتمع الإسلامي في مناطق كثيرة من العالم.

وها نحن نواجه مثل هذه الجماعات التي تحاول تنظيم نفسها تحت مسميات مختلفة باختلاف وجهة نظر كل منهم بصدد العقيدة والمجتمع، وكان الإرهاب سلاحهم في قتل الأبرياء وترويع الأمنيين.

وقد أدى هذا الانحراف العقدي إلى انحراف فكري لدى فئة كبيرة من الناس، مما هدد السلم المجتمعي داخل البلاد الإسلامية وغير الإسلامية على حد سواء.

(١) ابن رشد: قانون التأويل بأخر مناهج الأدلة في عقائد أهل الملّة، تقديم وتحقيق محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، ١٩٦٤م، ص٢٤٩.

(٢) المصدر السابق: ص٢٥١.



مما سبق نجد أن وظيفة الفلسفة عند الفلاسفة المسلمين في المشرق والمغرب العربي الإسلامي مشابهة لوظيفتها المزدوجة عند فلاسفة اليونان، وبخاصة أفلاطون وأرسطو فكان لها وظيفة نظرية تتمثل في البحث عن الحقيقة، ووظيفة اجتماعية تتمثل في بيان مبادئ الهداية والإرشاد للناس كي يحققوا كمالهم الإنساني وسعادتهم في مجتمع ينعم أفراداه بالسلم الاجتماعي والأمن الفكري ضد أي انحراف.

### ثالثاً: العصور الوسطى:

سادت أيضاً فيه محاولة التوفيق بين الفلسفة والدين وكانت الشغل الشاغل لفلاسفة العصور الوسطى في الغرب المسيحي، فقد ذهب المتدينون إلى أن الوحي الذي يختص به الأنبياء ما هو إلا فضل ونعمة، وهذا يصدق على العقل أيضاً، فهو من أجل نعم الله تعالى على الإنسان، وإذا كان الوحي والعقل يرجعان إلى مصدر واحد، فليس هناك ما يدعو إلى القول بالتعارض بين الوحي والعقل أو بين النبوة والفلسفة.

هكذا كانت وظيفة الفلسفة منصبة في الدرجة الأولى على الوظيفة النظرية أي البحث عن الحقيقة، ثم مع وجود الدين المسيطر كانت تحاول خدمة الدين، لكن هذه الوظيفة الأخيرة بدأت تتلاشى عندما بدأت سلطة الدين في الانحسار والتراجع في عصر النهضة الأوروبية الحديثة، حيث بدأت في هذا العصر حركة التحرر من سلطة الكنيسة ورجالها، وظهرت رغبة قوية في تغيير نمط الحياة الفكرية الذي كان سائداً في العصور الوسطى، وظهر فلاسفة يبحثون في الأخلاق وشئون المجتمع، وأخذت على عاتقها الاهتمام بهداية الإنسان وإرشاده إلى أصوب الأخلاق بعد تنحية الدين وأخلاقه، والتقليل من شأنها، واستناداً إلى مبدأ الحرية والتحرر من الماضي تعددت المذاهب الفكرية والفلسفية إلى أن وصلت إلى غاياتها في العصر الحديث.

### رابعاً: العصر الحديث:

تابع فلاسفة العصر الحديث الاتجاه الذي ظهر في عصر النهضة من التحرر من سلطة الكنيسة وآرائها، وممارسة حرية التفكير دون قيود، سوى القيود التي تفرضها قوانين العقل، وبدأ الفلاسفة في إنشاء أنساقهم الفلسفية المتباينة، واحتل البحث في المعرفة وطبيعتها مكانة متقدمة على البحث في الوجود، واستمر نقد الفلسفة التقليدية التي سادت العصور الوسطى، وكانت فلسفة أرسطو محوراً.

فجاء فرنسيس بيكون F.BACON (ت ١٦٢٦م) وهاجم الفلسفة التقليدية، وانتقد الجامعات والعلوم التي تدرس فيها، وانتقد الفلاسفة الذين مزجوا الفلسفة بالدين مثل أفلاطون إضافة إلى شراح أرسطو.

وبذلك تحول المفكرون والعلماء إلى المنهج التجريبي الاستقرائي الذي فصله بيكون في كتابه الأشهر الأورجانون الجديد<sup>(١)</sup> NOVUM ORGANUM.

وبذلك تفجرت النزعة التجريبية (EMPIRICISM) في القرن السابع عشر<sup>(٢)</sup>، على يد فلاسفة علماء كبار يقف على رأسهم كما أشرنا فرنسيس بيكون في أورجانونه الجديد، الذي أرسى فيه قواعد منهجه التجريبي في الغرب على دعامتين: سلبية وإيجابية، أما السلبية فهي: ما أسماه تخليص العقل الإنساني من الأوهام وهي: (٣) أوهام القبيلة، وأوهام الكهف، وأوهام السوق، وأوهام المسرح<sup>(٤)</sup>.

وقد أكد بيكون على ضرورة تخلص العقل البشري من هذه الأوهام مثل الشروع في البحث والتجربة من خلال منهج علمي محكم يؤدي إلى نتائج إيجابية تكون لها مردودها الواضح على مسيرة البحث العلمي، لذلك نراه في الجانب الإيجابي من منهجه أو الدعامة الإيجابية أنه يفصل لتلك القواعد الإجرائية التي ينبغي مراعاتها في البحث العلمي التجريبي، فوضع مجموعة من القوائم المنهجية التي يحدد من خلالها مسار البحث التجريبي للظواهر من خلال (قوائم الحضور، قوائم الغياب، قوائم التدرج) ولا مجال للإفاضة فيها هنا فهي تخرج عن مدار بحثنا.

مما سبق يتضح أن بيكون حرص من خلال منهجه التجريبي الاستقرائي على أن يؤكد على أن المعرفة قوة، وكانت القاعدة الشاملة لفلسفته قاعدة علمية تهدف إلى تزويد

(١) عزمي طه: وظيفة الفلسفة، ص ٢٠٥، وترجع تسمية بيكون لكتابه الأورجانون الجديد، تمييزاً له عن الأورجانون القديم الذي هو منطق أرسطو الصوري.

(٢) محمد عبد الله الشرفاوي: في الفلسفة العامة، مرجع سابق، ص ٣٢ وما بعدها.

(٣) برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة محمد فتحي الشنيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج ٣، ص ٧٩.

(٤) هذه الأوهام يسميها بيكون الأوثان الأربعة، فأخطاء القبيلة هي تلك التي اعتادها الناس كنوع من عشق العقائد dogma، ويجوز أن نسمي تلك الأخطاء بالأخطاء الشائعة الناجمة عن تمسك المرء بما ورث من عقائد، أما أخطاء الكهف فتنتشأ عن السذاجة الفردية التي تدفع الناس إلى التعلق بالمنظور الشخصي أو التجربة الشخصية، فيجب أن يرتفع الإنسان فوق كل هوى أو تحيز، أما أوهام السوق فهذه راجعة إلى أن البشر فيها يكونون ضحايا ما يسمى حديثاً بالشعارات، فهم يربطون الكلمات بأشياء، ومن ثم تضللهم مقالاتهم الخاصة، وبذلك فهي أخطاء ناجمة عن الشعارات، أو بالأحرى المفردات اللغوية التي لم يقيم البشر بتدقيق معانيها، وهي أخطر أنواع الأوهام التي تؤدي إلى الانحراف الفكري والعقدي في مجتمع من المجتمعات، أما أخطاء المسرح فهي ناشئة عن أخطاء المذاهب، فالمفكرون أوقعوا الناس في شبكات مذاهبهم التي روجوا لها ببراعة، وهي في حقيقة الأمر أخطاء لا تقل خطورة عن سابقتها، فهي من أهم أسباب الانحراف الفكري في أي مجتمع من المجتمعات، وللمزيد راجع رونالد سترومبيرج: تاريخ الفكر الأوربي الحديث، ترجمة أحمد الشايب، نشرة عكاظ ١٩٨٥م، ج ١، ص ٧٤، ٧٥.

الجنس البشري بالسيطرة على قوى الطبيعة بواسطة إطرار أوهام العقل البشري المختلفة، والتمكين لتقدم مسيرة الاكتشافات والابتكارات العلمية، كما أكد من جهة أخرى على أن الوظيفة الاجتماعية للعلم هي ابتكار المصادر الجديدة لسعادة الإنسان، وإحلال الوئام محل الصراع في المجتمع البشري.

يأتي في مقابل هذه النزعة العلمية التجريبية، النزعة العقلية التي أرسى قواعدها الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت R. Descartes (ت ١٦٥٠م) في العصر الحديث، ويراد بالنزعة العقلية باختصار شديد ذلك الاتجاه الذي يرد المعرفة الإنسانية ومعايير صدقها إلى العقل الإنساني وليس إلى الواقع والحس، فالعلم الرياضي عنده هو العلم اليقيني بالمعنى العميق والدقيق والتام لهذا الوصف، والرياضة عنده هي المثل الأعلى لكل العلوم من حيث مناهجها، ومن ثم طالب ديكارت أنصار النزعة العقلية باستخدام المناهج الرياضية في دراستهم للمشاكل الفلسفية.

وللمنهج الديكارتي سمتان بارزتان:<sup>(١)</sup>

البداية: أي بداية الأفكار المستخدمة في العلم الرياضي.

الترتيب: الذي تتسلسل بمقتضاه هذه الأفكار.

ولكي تتحقق هذه البداية الرياضية للأفكار والنظريات الفلسفية على تفكيرنا أن يتخلص من بعض المعوقات أهمها:<sup>(٢)</sup>

- ١- طرح الأفكار الصادرة عن السلطات أيا كانت هذه السلطات فلسفية، أو اجتماعية، أو سياسية، أو دينية كنسية لأنها أشد الأفكار ميلاً مع الهوى وبعداً عن اليقين.
- ٢- هجر تلك الأفكار التي تصفق لها الجماهير، فليس كثرة الأصوات التي تجتمع على رأي ما هي بالضرورة دليلاً على صحته.

ويتصدر قواعد هداية العقل عند ديكارت في كتابه قواعد المنهج، قاعدة اليقين، وهي قاعدة في غاية الأهمية يهدف ديكارت من ورائها إلى عدم قبول أي رأي من الآراء على أنه حق إلا إذا كان يقيناً يطمئن له العقل.

(١) عثمان أمين: ديكارت، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٦، ١٩٦٩م، ص٣٨.  
(٢) يقترب ديكارت في منهجه العقلي خاصة فيما يتعلق بفكرة البداية العقلية، وكيفية التخلص من معوقاتها، من فكرة الأوهام الأربعة التي قال بها بيبكون، والتي من شأنها أن تعوق الذهن عن الوصول إلى الحقيقة، والحقيقة عند بيبكون تجريبية وعند ديكارت عقلية، لكنهما يلتقيان في ضرورة تخليص العقل من سيطرة السلطة السياسية أو الاجتماعية أو الدينية التي يؤدي الانحراف فيهما إلى تضليل العقول، وإشاعة الانحراف الفكري، مما يهدد السلم الاجتماعي في أي مجتمع من المجتمعات، للمزيد انظر: عثمان أمين، ديكارت، مرجع سابق، ص٤٨.

هذه القاعدة العقلية هي أساس التمييز بين الخير والشر، والصواب والخطأ، وإذا كان لهذه القاعدة دورها في تأسيس قواعد المنهج عند ديكارت، فإن لها وظيفة عملية اجتماعية هي تحقيق الخير والرفاهية والسعادة للناس في مجتمعاتهم الإنسانية.

ومن أعلام هذا الاتجاه إلى جانب ديكارت سبينوزا SPINOZA (ت ١٦٧٧م) الذي كتب رسالته في إصلاح الذهن، واهتم بالأخلاق والسياسة والدولة والحرية، وهكذا ظلت الفلسفة في جانب من جوانبها بحثاً عن الحقيقة، لكنها أخذت على عاتقها بيان المنهج الذي يوصل إلى الحقيقة، بجانب شعور الفلاسفة القوي بمسئوليتهم عن إصلاح الأوضاع الفاسدة، وخلق أوضاع جديدة، فبرزت وظيفة الفلسفة العملية الاجتماعية لتقدم العون والارشاد للإنسان، في تحقيق خيره وسعادته لينعم بالسلم الاجتماعي مع أقرانه في المجتمع الواحد.

ومن الفلاسفة الذين جعلوا للفلسفة وظيفة اجتماعية توماس هوبز T.Hobbes (ت ١٦٧٩م) الذي قدم نظرية في الحكم والسيادة للدولة إضافة إلى بحثه المتعلقة بالمعرفة واللغة وعلم النفس.

وجاء عصر التنوير الذي ارتبط بازدياد المعرفة العلمية وانتشارها، إذ صار النشاط العقلي الحر هو المحرك للفلسفة والعلم، وانتشرت أنوار العلم بفضل العقلانية التي كانت السمة الرئيسية في هذا العصر، ومن أبرز من مثل هذا العصر بعض الكُتاب والعلماء والفلاسفة ومن أبرزهم ديدرو (ت ١٧٨٤م) وهو من الفلاسفة الذين كتبوا الموسوعة الشهيرة، وكانت وظيفة الفلسفة كما ظهرت فيها خلق موقف مستنير من الحياة ومشاكلها يقدم إلينا عوناً هائلاً في سعينا إلى إيجاد حلول مناسبة نتغلب فيها على صعوباتنا<sup>(١)</sup>، والمساهمة في تحقيق مستقبل جديد أكثر سعادة للبشر في مجتمعات يسودها السلم الاجتماعي.<sup>(٢)</sup>

ننتقل بعد ذلك إلى كانط I.KANT (ت ١٨٠٤م) رائد الفلسفة النقدية أو المثالية، فكانت الفلسفة عنده نظرية وعملية<sup>(٣)</sup>، وركز في فلسفته على وظيفة النقد من أجل الوصول إلى الحقيقة في مجالي الوجود والمعرفة، وفي الجانب العملي في فلسفته اهتم بموضوع الأخلاق والإرادة محاولاً الإجابة عن السؤال الرئيس: " كيف ينبغي أن يكون سلوكنا في الحياة"<sup>(٤)</sup>، ومع أن الباحثين يرون أن كانط في بحثه الأخلاقي كان متأثراً بنشأته الدينية؛ إلا أنه وضع مبادئ للسلوك الأخلاقي مؤسسة على العقل فبدت كأنها بديل للنظرة الدينية، أو منافس قوي لها.

(١) برتراند رسل: حكمة الغرب، ترجمة فؤاد زكريا، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد ٧٢، ١٩٨٣م، ج ٢، ص ٧٩، أيضاً عزمي طه: وظيفة الفلسفة، مرجع سابق، ص ٢٠٦.

(٢) برتراند رسل: حكمة الغرب، ص ١٥١.

(٣) ألف كانط في الفلسفة النظرية كتابه المعروف نقد العقل الخالص، كما ألف في الفلسفة العملية كتابه المعروف نقد العقل العملي.

(٤) برتراند رسل: حكمة الغرب، مرجع سابق، ص ١٥١.

وفي القرن التاسع عشر برز الفيلسوف الألماني هيغل F. HEGEL (ت ١٨٣١م) الذي وصف رسل فلسفته بأنها تؤكد أولوية العمل<sup>(١)</sup>، أي الفلسفة العملية، إذ اهتم بالتاريخ وتفسيره وبالسياسة والدولة، فكان للفلسفة عنده وظيفة عملية اجتماعية تهدف لإصلاح شأن المجتمع وضبط علاقات التفاعل بين أعضائه بما يحقق التقدم في كل مناحي الحياة الإنسانية. هذا بجانب الوظيفة النظرية في البحث عن الحقيقة<sup>(٢)</sup>.

وما يعنينا هنا هو الجانب المتعلق بالفلسفة العملية، فالأخلاق الموضوعية عند هيغل تؤلف مثلثاً جدلياً أضلاعه: الأسرة التي تمثل الفكرة، في الحقيقة الجدلية فنظر إليها على أنها الموضوع أو الفكرة، أما المجتمع فهو الضلع الثاني الذي يمثل نقيض الفكرة أو نفي الموضوع، والدولة هي ذلك المركب الكلي الذي يجمع بين النقيضين ويؤلف ما بين الأسرة والمجتمع، الفكرة ونقيضها، ومن ثم صدرت الدولة كي تحقق الضلع الثالث والنهائي في الحقيقة الجدلية حتى يكتمل هذا الثالوث المؤلف من الأسرة والمجتمع والدولة في مثلث وحيد<sup>(٣)</sup>.

فالأخلاق الموضوعية، أو الأخلاق الاجتماعية تنقسم عند هيغل إلى أقسام متكاملة تربط بين الفكرة والنقيض والمركب بينهما، لذا فهي أخلاقيات للأسرة والمجتمع والدولة. فالأسرة هي المظهر الأول للحياة الأخلاقية، لأنها نواة المجتمع وهي كمؤسسة اجتماعية تعتمد على نظم أساسية هي الزواج، والملكية، والميراث، والتربية.

والزواج عنده كمنظومة اجتماعية هو أيضاً واجب خلقي ورابطة اجتماعية، بمعنى أنه اتحاد زوجي بين زوجين، لذلك فهو لا يعترف إلا بالزواج الكنسي الرسمي ويرفض الزواج المدني (بالعقد المدني) أو مانسميه نحن بالزواج العرفي لأنه زواج لا أخلاقي ولا ينشئ أسرة لأنه نظام أمانتي يقوم على النزوة والهوى، ومن هنا كان الزواج الهيجلي على عكس الزواج الكانطي لأنه يقوم على الفعل الأخلاقي<sup>(٤)</sup>.

أما المجتمع عند هيغل فهو مصدر الإلزام والجزاء، حيث ينخرط فيه الفرد بعد التربية الأخلاقية التي يمر بها داخل الإطار الصغير للأسرة، وحيث تظهر وتتعدى العلاقات والمصالح في المجتمع.

(١) برتراند رسل: حكمة الغرب، مرجع سابق، ص ١٧٥.  
(٢) تقوم فلسفة هيغل النظرية على فكرة الثالوث الجدلي، فهو يدرس المطلق أو الفكر في الأوجه الثلاثة الخاصة بالمنهج الجدلي الموضوع، النقيض، المركب، للمزيد انظر أحمد السيد علي: الفلسفة الحديثة عرض ونقد، طبع مكتبة الإيمان، المنصورة، ١٩٩٨م، ص ٤١٣.  
(٣) عبد الفتاح الديدي: فلسفة هيغل، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠م، ص ١٥٦.  
(٤) أحمد السيد علي: الفلسفة الحديثة عرض ونقد، مرجع سابق، ص ٤١٢.

والدولة بعد ذلك هي المركب بين الأسرة و المجتمع، فهي التحقيق الفعلي للفكرة الأخلاقية حيث تعارض الدولة كل الأهواء والنزوات الفردية، ولذلك كانت الإرادة الحقيقية للإنسان الأخلاقي عند هيجل هي تلك الإرادة التي تصل إلى تحررها الكامل داخل إطار الدولة، وسيادة الدولة لها جانبان: جانب داخلي يتمثل في فرض سلطتها المطلقة على جميع رعاياها بما يحقق الضبط الاجتماعي في المجتمع، ويسود السلام الاجتماعي بين فئاته وأفراده، أما الجانب الخارجي فهو يقوم على استقلالها ليحقق ذاتيتها إزاء غيرها من الدول، ولكي تحافظ الدولة على استقلالها واستمرار وجودها.<sup>(١)</sup>

هذا هو فحوى الاتجاه الجدلي ( الديالكتيكي ) في فلسفة هيجل الأخلاقية، والذي يتضح منه تأكيده على استقرار الدولة، وبسط سيطرتها على الأفراد ليسود العدل ويتحقق الأمن المجتمعي.

### خامساً: في العالم الغربي المعاصر:

تعددت الاتجاهات والتيارات الفلسفية المعاصرة، واهتمت هذه الاتجاهات بموضوعات وقضايا محددة، ومن أبرز هذه الاتجاهات ( الفلسفة البراجماتية ) التي تعتبر أول إسهام فلسفي أمريكي أدلى به مفكرو العالم الجديد في البناء الفلسفي المعاصر، ويعرف هذا الاتجاه باسم المذهب العملي، أو النفعي، أو مذهب الذرائع.<sup>(٢)</sup>

اتفق البراجماتيون على أن العقل موجه إلى العمل دون النظر، وعلى العقل أن ينصرف عن التفكير في المبادئ والأوليات ويتجه إلى النتائج والغايات، وصدق الفكرة عندهم معناه التحقق من منفعتها عن طريق التجربة، ولذلك فإن توضيح معنى أي فكرة وبيان صحتها وتكوينها إنما يكون بالقياس إلى آثارها العملية في حياة الإنسان، وكل فكرة لا تنتمي إلى سلوك عملي في دنيا الواقع تعد فكرة باطلة لا معنى لها، وقد استبعد البراجماتيون أي فكرة فلسفية مجردة لا يمكن أن ينتج عنها سلوك عملي.<sup>(٣)</sup>

وخلاصة القول: إن الفكرة الصادقة عندهم هي التي تؤدي إلى النجاح في الحياة العملية، وكذلك العقيدة الصحيحة هي التي تحقق أفكاراً نفعية في الحياة العملية، ومن ثم فإن هذه الأفكار والعقائد تكون موضع طلب إذا كانت وسائل لتحقيق أغراض واقعية، ويصبح

---

(١) عبد الفتاح الديدي: فلسفة هيجل، مرجع سابق، ص ١٥٤.  
(٢) من أبرز ممثلي هذا المذهب: تشارلس بيرس Ch. Peirce (ت ١٩١٤م)، وليم جيمس W. James (١٩١٠م)، وجون ديوي J. Dewey (١٩٥٢م).  
(٣) يعقوب فام: البرجماتية، نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر ١٩٤٥م، ص ٦٤ وما بعدها، وانظر أيضاً: محمد علي أبو ريان: الفلسفة ومباحثها، دار المعارف، القاهرة، ط ٤، ص ٢٢.

معيار الصواب والحق بالنسبة لأي فكرة هو قابليتها لأن تكون أداة سلوك عملي، والأخلاق كذلك أخضعوها للمنفعة.<sup>(١)</sup>

وجاءت الفلسفة الوجودية لتمثل اتجاهاً آخر، فقد اهتمت بوجود الإنسان ووجهت وظيفتها الرئيسية للإجابة عن الأسئلة التي توجهها الحياة إلى الإنسان، ومن أبرز مؤسسيها سورين كيركجارد (ت ١٨٥٥م) الذي ثار على كل الفلسفات النظرية وخاصة فلسفة هيغل، ثم تلاه كارل ياسبرز، و جابرييل مارسيل و مارتن هيدجر، وجان بول سارتر.<sup>(٢)</sup>

وصارت الفلسفة عند أصحاب المذهب الوجودي، منهج وصفي للتجربة الذاتية والوجود الشخصي الذاتي، وانحصر اهتمامها في الوجود الإنساني الواقعي المفرد، وكرد فعل سلبي لهذه الفلسفة فقد انتشرت الفردية، وكراهة الآخرين والنفور منهم باعتبارهم الجحيم عينه.<sup>(٣)</sup>

فسادت لذلك الروح الإلحادية في المجتمع وانتشر القلق والعبث واليأس، فأثر ذلك بدوره في القيم الإنسانية والعقائد الدينية في المجتمعات الإنسانية، مما هدد السلم الاجتماعي. أما الماركسية فقد استمدت من المادية الجدلية الهيجلية منطلقاً لها، ويعتبر كارل ماركس ت (١٨٨٣م) وفريدريش إنجلر (ت ١٨٩٥م) المؤسسين لهذه الفلسفة، ثم فصل فيها لينين lenin وستالين بعد ذلك.<sup>(٤)</sup>

وتتصدر وظيفة الفلسفة الماركسية في تغيير هذا العالم تغييراً جذرياً، وقد ساعد في ذلك بروز التناقضات التي جاء بها تطور النظام الرأسمالي في أوروبا خلال القرن التاسع عشر بين طبقة الملاك الرأسماليين، وطبقة العمال الكادحين، هذا فضلاً عن التطور العلمي الهائل في العلوم الطبيعية في القرن التاسع عشر، كل ذلك ساعد على انتشار الفلسفة المادية التي جعلت من المادة وحدها والصراع الاقتصادي وحده هو الذي يوجه ويصنع حركة التاريخ.

وقد ترتب على ذلك إنكارهم لوجود مبادئ أخلاقية كلية، وإنما الأخلاق تتبع طبقة بعينها، وهذا هو أساس فكرة الصراع (صراع الأضداد)، وينتهي أثر هذه الفلسفة إلى قانون هو قانون نفي النفي أو سلب السلب، وهذا القانون هو الذي يحكم التطور في العالم، فالإقطاع تنفيه الرأسمالية، والرأسمالية تنفيها الاشتراكية، وينشأ الجديد بناء على نفي النفي.

(١) المرجع نفسه، ص ٢٤.

(٢) عبد الرحمن بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، القاهرة، ١٩٦١م، ص ١١٥.

(٣) المرجع السابق: الصفحة نفسها.

(٤) أصول الفلسفة الماركسية، ترجمة حمدي عبد الجواد، القاهرة، ١٩٥٧م، ص ٤٦، وانظر محمد عبد الله الشرفاوي: في الفلسفة العامة، مرجع سابق ص ٤٨.

والملاحظ مما سبق أن الفلسفة البرجماتية والفلسفة الماركسية فلسفة الكتلة الشرقية يوجد بينهما تشابه كبير يستدعي البحث والنظر لكونهما أساس الحضارة الغربية التي غلا مفكروها في تمجيد الذات الإنسانية وتألبيها، وجعلها وحدها الحقيقة، فأصبح إشباع رغباتها هو معيار الخير والشر، ومن جهة أخرى، فقد عُرف الغرب بعصبتين: عصبه القوم على الفرد، وعصبه القوم على القوم، فأدت الأولى إلى انحسار الشخصية الفردية، وأدت الثانية إلى استعمار الإنسان لأخيه الإنسان، كذلك غلا الغرب في استغلال الطبيعة بالرغم من ازدهار العلوم الطبيعية وتقدم التقنية في خدمة الإنسان، فقد هجم الإنسان الغربي على الطبيعة يطوعها لإشباع الرغبات دون وازع أخلاقي.<sup>(١)</sup>

نلاحظ مما سبق أن الاتجاه الفلسفي الغربي الحديث والمعاصر جاءت مذاهبه وتياراته المختلفة بمعزل عن الدين، فحينما لا يكون الدين مؤدياً لوظيفته بطريقة واقعية ومقنعة لغالبية الناس والمتعلمين، فتكون الآراء المقررة في الجانب النظري تقدم إجابات قاصرة غير مقنعة عن الأسئلة الإنسانية الكبرى (الله . العالم . الإنسان)، وتكون الأفعال المقررة في الجانب العملي لا تحقق للإنسان السكينة والطمأنينة والخير الحقيقي الذي يفتتق به الناس أنه كذلك بالفعل، وإذا كان أمر الدين كذلك، فإن الفلسفة ستتهض لتملأ هذا الفراغ الذي لم يشغله الدين، وهذه الحاجة الماسة إلى الهداية والإرشاد للناس في مجتمعها بقدر ما تسمح به طبيعتها، فتقدم الآراء النظرية في القضايا الوجودية الكبرى، وتقدم المبادئ والضوابط للسلوك الذي ترى أنه يعين الإنسان على تحقيق خيره وسعادته في المجتمع الذي يعيش فيه.

#### سادساً: العالم العربي المعاصر:

حين يوجد في المجتمع دين قوي قائم بأداء وظيفته في الهداية، ويقدم لأتباعه وللناس بعامة أجوبة مقنعة عن الأسئلة الإنسانية الكبرى من خلال الجانب النظري، ويقدم من خلال الجانب العملي ما يرشد الإنسان إلى السلوك الملائم في تعامله مع ذاته ومع الآخرين، ومع جوانب الوجود المختلفة، ويبعد عن الحيرة، ويحقق له خيره وسعادته، إذا كان الأمر كذلك فإن الفلسفة في مثل هذا الواقع لن تدعي أنها ستكون بديلاً عن الدين في تقديم الهداية، وستجتهد في القول والبيان بأنها متوافقة مع الدين في الغايات، وأنها لا تتعارض مع هذا الدين مع اختلاف أسلوبها في الوصول إلى غاياتها عن أسلوب الدين - كما سبق أن عرضنا.<sup>(٢)</sup>

(١) محمد عبد الله الشرقاوي: في الفلسفة العامة، مرجع سابق، ص ٥٨.  
(٢) عزمي طه السيد: وظيفة الفلسفة، مرجع سابق، ص ٢١٢ وما بعدها.



وبموازاة ذلك حال الفلسفة في المجتمع الإسلامي إبان ازدهار الحضارة الإسلامية، فقد جاء الإسلام ديناً شاملاً في هدايته للإنسان في جوانب حياته المختلفة، فقدم آراءً وأجوبةً محكمة عن الأسئلة الإنسانية الكبرى باعتراف الفلسفة، وقدم إرشاداً وهداية عملية شاملة في تعامل الإنسان مع جميع جوانب الوجود الحياة، ونجد ذلك في أعمال مفكرين من أمثال: ابن حزم، والغزالي، وفخر الدين الرازي، وغيرهم معتمدين على مسلمة أن النص الديني في الإسلام (القرآن والسنة) حق، وبالطرق الصحيحة للاستنباط نصل من الحق إلى الحق، فالنتائج تأتي متساوقة مع المقدمات.

وهذا ما لاحظناه من وظيفة الفلسفة في حالة الحضارة الإسلامية<sup>(١)</sup>، فالدين الإسلامي ضارب بجذور قوية راسخة في هذا العالم، في ضمائر العرب المسلمين وقلوبهم، وفي تاريخهم، وفي لغتهم مقدساتهم وممارساتهم، والغالبية العظمى من طرائق تعاملهم في هذه الحياة مع جوانب الوجود المختلفة.

---

(١) المرجع نفسه، ص ٢١٢.

## خاتمة:

ليس مقصدنا من العرض السابق في ضوء هذا الواقع الراهن أن ننحي الفلسفة جانباً، وأنه لا حاجة لنا إليها، وإنما مقصدنا أن تقوم الفلسفة بدورها ووظيفتها في ضوء هذا الواقع بطريقة تساهم فيها بتحقيق الخير لهذا العالم العربي، والمساهمة في بناء مشروعه النهضوي.

وليتحقق هذا الهدف لا بد للفلسفة أن تضطلع بوظيفتها الرئيسية (الوظيفة النظرية، والوظيفة العملية)، كما أشرنا، وينبغي على الفلسفة ألا تتأصب الدين العداء بشكل ظاهر مباشر أو مبطن غير مباشر، بل إن عليها أن توثق عرى الصداقة والتعاون مع الدين.<sup>(١)</sup>

ولعل الوظيفة العملية للفلسفة هي مقصدنا في هذا البحث، فهي تستطيع - من خلال هذه الوظيفة - تقديم الكثير والنافع، بأن تنظر في الدين وفي جانبه العملي على وجه الخصوص، وتستخلص منه المبادئ العامة للسلوك على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة لتحقيق مبادئ التوافق والسلم الإجتماعي بين أفراد المجتمع.

كذلك من وظائف الفلسفة إضافة - إلى ما وردت الإشارة إليه - استخلاص فلسفة الدين من منظور إسلامي بطريقة مهنية عقلانية تظهر فيها حقيقة الدين وردوده ووظيفته في حياة الإنسان بما يحقق له الخير والسعادة في حياته الاجتماعية في ضوء مستجدات العصر والروح العلمية السائدة.

والله من وراء القصد، إنه نعم المولى ونعم النصير.

---

(١) المرجع السابق: ص ٢١٧.